

---

## الباب الثالث

خطب الخلفاء الراشدين

---



### خطب أمير المؤمنين أبي بكر الصديق ﷺ

• أخرج ابن سعد والمحاملى وغيرهما عن عروة قال: لما ولى أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس! قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحق الحق الفجور، وأن أفواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق؛ أيها الناس! إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينونى وإن زغت<sup>(١)</sup> فقومونى<sup>(٢)</sup>، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٣٠).

• وأخرجه الدينورى عن عبد الله بن عكيم قال: لما بويع أبو بكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اعلموا أيها الناس! أن أكيس الكيس - فذكر نحوه وزاد فى آخره: وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء، فأطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٣٥).

• وأخرجه البيهقى (ج ٦ ص ٣٥٣) عن الحسن - فذكر بعض ما تقدم وزاد بعد قوله: أحق الحق الفجور، ألا! وإن الصدق عندى الأمانة والكذب الخيانة، وزاد بعد قوله: ولست بخيركم؛ قال الحسن: هو والله خيرهم غير مدافع ولكن المؤمن يهضم<sup>(٣)</sup> نفسه، وزاد: ثم قال: ولوددت أنه كفانى هذا الأمر أحدكم؛ قال الحسن: صدق والله وإن أنتم أردتمونى على ما كان الله يقيم نبيه من الوحى ما ذلك عندى إنما أنا بشر فراعونى.

• وأخرجه أبو ذر الهروى وابن راهويه كما فى الكنز (ج ٣ ص ١٢٦) عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال: أما والله! ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامى هذا كارها ولوددت أن فيكم من يكفينى، أفئظنون أنى أعمل فيكم بسنة

(١) عدلت عن الطريق.

(٢) فسدونى.

(٣) أى يضع من قدره تواضعا.

رسول الله ﷺ؟ إذن لأقوم بها أن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لى شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقمتم فأعينوني وإن زغت فقوموني؛ قال الحسن: خطبة والله ما خطب بها بعده.

• وأخرجه أبو زر الهروي في الجامع عن قيس بن أبي حازم مختصراً، كما في الكنز (ج ٣ ص ١٣٦)؛ وفي روايته: وإنما أنا بشر أصيب وأخطئ فإذا أصبت فاحمدوا الله وإذا أخطأت فقوموني.

• وأخرجه أحمد أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: إنى لجالس عند أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاته بشهر قال- فذكر قصة فنودي في الناس: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر شيئاً صنع له كان يخطب عليه وهي أول خطبة في الإسلام، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! ولوددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها، إن كان لمعصوما من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء. قال الهيثمي (ج ٥ ص ١٨٤): وفيه عيسى بن المسيب الجلي وهو ضعيف- أهـ. وقد تقدم (ج ٢ ص ١٧) من ذلك الخطبة من طريق عيسى بن عطية عند الطبراني قال: يا أيها الناس! إن الناس قد دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً فهم عواذ الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يظلمكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لى شيطاناً يحضرنى فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لأمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس! تفقدوا ضرائب غلمانكم أنه لا ينبغي للحم نبت من سحت<sup>(١)</sup> أن يدخل الجنة.

• وأخرجه الطبري في التاريخ (ج ٢ ص ٤٦٠) عن عاصم بن عدى قال: نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليم بعث أسامة: ألا! لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس! إنما أنا مثلكم وإنى لا أدري لعلمك ستكفونى ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فتابعوني

وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا! وإن لى شيطاننا يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أوتر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الأجل ألا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسبقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجد الجد والوفا (١) الوفا والنجاء النجاء! فإن وراءكم طالبا حثيثا (٢) أجلا مره (٣) سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا (٤) الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

• وأخرج ابن زنجويه في كتاب الأموال عن سعيد بن أبي مريم قال: بلغني أنه لما استخلف أبو بكر ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه والله لولا أن تضيع أموركم ونحن بحضرتها لأحببت أن يكون هذا الأمر في عنق أبغضكم إليّ ثم لا يكون خيرا له إلا أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فاشرب (٥) ورفعوا إليه رعوسهم فقال: على (٦) رسلكم، إنكم عجلون؛ إنه لن يملك ملك قط إلا علم الله ملكه قبل أن يملكه فينقص نصف عمره وتوكل به الروح والحزن ويزهده فيما بيده ويرغبه فيما بأيدي الناس فتضنك (٧) معيشته وإن أكل طعاما طيبا ولبس جيدا حتى إذا أضحي ظله وذهبت نفسه وورد إلى ربه فحاسبه فشد حسابه وقل غفرانه له، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون، ألا! إن المساكين هم المغفورون؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ١٦٢).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٣٥ عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا

(١) السرعة السرعة وكذلك التراجع النجاء.

(٢) كذا في الأصل، وفي البداية (ج ٦ ص ٢٠٢) أمره سريع.

(٤) الغبط حد خاص، يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطا - إذا اشتبهت أن يكون لك مثل ما له وأن يدوم عليه ما هو فيه، وحسنه أحسنه حسدا - إذا اشتبهت أن يكون لك مثل ماله وأن يزول عنه ما هو فيه.

(٥) أي رفع رأسه لينظر.

(٦) الرسل بالكسر الهيئة والتأني، قال الجوهري: يقال افعل كذا وكذا على رسلك، بالكسر - أي اتد فيه، كما يقال:

على هينتك.

(٧) تضيق.

أبو بكر رضي الله عنه فقال: أما بعد! فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو له أهل وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا الإلحاف<sup>(١)</sup>، فإن الله تعالى أتى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرِهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. ثم اعلّموا عباد الله! إن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك موثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تنفي عجائبه ولا يطفأ نوره، فصدقوا قوله وانتصحو كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلّموا عباد الله! إنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الأجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوحا الوحا النجاء النجاء! إن وراءكم طالب حثيث أمره سريع.

• وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهناد والحاكم والبيهقي بمثله، وروى بعضه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل؛ كما في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٣٥) عن عمرو بن دينار قال: خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال: أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تستغفروه إنه كان غفارا - فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: واعلموا أنكم ما أخلصتم الله عز وجل فربكم أعطتم وحقكم حفظتم فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم واجعلوها نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نسوا ونسى ذكرهم فهم اليوم كلا شيء فتلك بيوتهم خاوية<sup>(٣)</sup> بما ظلموا وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركز<sup>(٤)</sup>، وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدموا فجلاوا الشقوة والسعادة، إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، وأنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة؛ أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٠.

(٤) الصوت الخفي.

(١) الإلحاف.

(٣) ساقطة وخالية.

وعنده أيضاً عن نعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم - فذكر نحو حديث عبد الله عكيم وزاد: ولا خير في قول لا يراد به وجه الله تعالى ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله عز وجل، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم؛ كذا في حلية أبي نعيم (ج ١ ص ٣٦).

• وقد أخرج هذه الخطبة الطبري في تاريخه (ج ٢ ص ٤٦٠) عن عاصم ابن عدى بإسناد فيه سيف فذكر أولاً خطبة أخرى كما ذكرناها ثم قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتم به وضرائب أدتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع<sup>(١)</sup> بهم الدهر وصاروا رميماً قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلاً شياً، ألا! إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ صاروا تراباً وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا! إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما! أنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة.

(١) أي أنزلهم.

• وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الحذر وابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول: الحمد لله رب العالمين، أحمدته ونستعينه ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا، أوصيكم بنقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع ولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى! قد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود ثم هو اليوم حصى وغدا ميت، فاعملوا يوما بيوم وساعة بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم، وعدوا أنفسكم في الموتى، واصبروا فإن العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا ما حذركم الله من عذابه.

وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا تفهموا، واتقوا توقوا، فإن الله تعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الأعمال وما يكره، فأني لألوكم ونفسي والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتم، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا بسلفكم وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت، إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا، ولا يصرف عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم واصلوا على نبيكم ﷺ ورحمة الله وبركاته؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو الشيخ عن يزيد بن هارون قال: خطب أبو بكر الصديق فقال في خطبته: يؤتى بعبد قد أنعم الله عليه وبسط له في الرزق قد أصح بدنه وقد كفر نعمة ربه، فيوقف بين يدي الله تعالى فيقال له: ماذا عملت ليومك هذا

وما قدمت لنفسك؟ فلا يجده قدم خيرا فيبكي حتى تنفد الدموع، ثم يعير فيخزي بما ضيع من طاعة الله فيبكي الدم، ثم يعير ويخزي حتى يأكل يديه إلى مرفقيه، ثم يعير فيخزي بما ضيع من طاعة الله فينتحب حتى تسقط حدقاته على وجنتيه وكل واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يعير ويخزي حتى يقول: يا رب! ابعتني إلى النار وارحمني من مقامى هذا، وذلك قوله: ﴿أَنْتُمْ مَنْ يُكَادِرُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَأَنْتُمْ لَكُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْمَظِيمُ﴾ (١). كذا فى الكنز (ج ١ ص ٢٤٦).

• وأخرج ابن أبي الدنيا والدينورى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن أبا بكر الصديق خطب الناس فقال: والذي نفسى بيده! لئن اتقيتم وأحصنتم ليوشكن أن لا يأتى عليكم ألا يسير حتى تشبعوا من الخبز والسمن؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٠٦).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية ج ١ ص ٣٤ عن عروة بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر ﷺ خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين! استحيوا من الله عز وجل، فوالذى نفسى بيده! إنى لأظلم حين أذهب إلى الخائط فى الفضاء متقنعا بثوبى استحياء من ربي عز وجل. وأخرجه ابن المبارك ورسته وابن أبى شيبه والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ابن الزبير نحوه؛ كما فى الكنز (ج ٨ ص ٣٠٦).

• وأخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء عن ابن شهاب أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو يخطب: استحيوا من الله، فوالله! ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مقنعا (٢) رأسى حياء من ربي؛ كذا فى الكنز (ج ٥ ص ١٢٤) وقال: وهو منقطع.

• وأخرج الترمذى وحسنه والنسائى عن أبى بكر أنه قام على المنبر ثم بكى فقال: قام فىنا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر ثم بكى فقال: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية؛ كذا فى الترغيب (ج ٥ ص ٢٣٣).

وعند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن أوس قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول فقال: سلوا الله المعافاة- أو قال: العافية- فإنه لم يعط أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية- أو: المعافاة- وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما فى الجنة، وإياكم والكذب! فإنه مع الفجور وهما فى النار، لاتحاسدوا ولاتباعضوا ولاتنقاطعوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله: كذا فى الكنز (ج ١ ص ٢١٩).

• وأخرج الحكيم والعسكرى والبيهقى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال: خطب أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٢٩).

• وأخرج أبو نعيم فى الحلية وابن جرير عن أبى العالية قال: خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قال رسول الله ﷺ: للظاعن ركعتان وللمقيم أربع، مولدى بمكة ومهاجرى بالمدينة، فإذا خرجت مصعدا من ذى الحليفة صليت ركعتين؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٣٩).

• وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى ضمرة قال: خطب أبو بكر الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه سيفتح لكم الشام فتأتون أرضا رقيقة فتشبعون فيها من الخبز والزيت وستبنى لكم فيها مساجد، وإياكم أن يعلم الله منكم أنكم تأتونها تلهيا! إنما بنيت للذكر؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٥٩).

### خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٢٧٥) عن حميد بن هلال قال أخبرنا من شهد وفاة أبي بكر الصديق ؓ فلما فرغ عمر ؓ من دفنه نفض<sup>(١)</sup> يده عن تراب قبره ثم قام خطيباً مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم وأبقاني فيكم بعد صاحبي فوالله! لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ولا يتغيب عني فألو<sup>(٢)</sup> فيه عن الجزء والأمانة! ولئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم، قال الرجل: فوالله! ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا.

• وأخرج الدينوري عن الشعبي قال: لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر فنزل مرقة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم إن استغنيت عفتت وإن افتقرت أكلت بالمعروف؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢١٠). وأخرجه الفضائلي عن الشعبي - نحوه كما في الرياض النضرة (ج ٢ ص ٨٩).

وعند ابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في الزهد وابن أبي شيبة وغيرهم عن عمر أنه قال في خطبته حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم. وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لاتخفى منكم خافية: كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج أحمد وابن سعد ومسدد وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ألا! إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهرائنا النبي ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، إلا! وإن النبي ﷺ قد انطلق وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه

(٢) فأقصر.

(١) حركها ليزول عنها الغبار.

عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا! إنه قد أتى علىّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده فقد خيل لي بأخره أن رجالا قد قرأوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءته وأريدوه بأعمالكم، ألا! وإني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم<sup>(١)</sup> ولال يأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلىّ فالذى نفسي بيده! إذا لأقصنه<sup>(٢)</sup> منه، ألا! لاتضربوا المسلمين فتذلوهم ولاتجمروهم<sup>(٣)</sup> فتفتنوهم ولاتمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولاتنزلوهم الغياض<sup>(٤)</sup> فتضيعوهم؛ كذا في الكنز ج ٨ ص ٢٠٩. قال الهيثمي (ج ٥ ص ٢١١): أبو فراس لم أر من جرحة ولا وثقه وبقية رجاله ثقات - انتهى. وقال الحاكم (ج ٤ ص ٤٣٩): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

• وأخرج عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وصححه وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي العجفاء قال: خطب عمر فقال: ألا! لاتخلوا في صداق النساء فأنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولأصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية إن أحدكم ليغلي صدقة المرأة حتى يكون لها عداوة في نفسه وهي تقول: قد كلفت لك علق<sup>(٥)</sup> القربة، وأخرى تقولونها لمن قتل في مغازيكم: قتل فلان شهيدا أو مات فلان شهيدا، ولعله يكون قد أوقر<sup>(٦)</sup> عجز دابته أو دف<sup>(٧)</sup> راحلته ذهباً أو ورقاً يلتمس التجارة، لاتقولوا ذلك ولكن قولوا كما قال النبي ﷺ: من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة.

وعند سعيد بن منصور وأبي يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبر، ثم قرأ: أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصداق فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٩٧). وقد ذكرنا بعض طرق هذه الخطبة في النكاح.

(١) أي ظاهر جلودكم.

(٢) أي لاجمعوهم في الظنور وتجبسوهم عن العود إلى أهلهم.

(٣) جمع غيبة وهي الشجر الملتف لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو.

(٤) أي تجشمت لأجلك كل شيء حتى علق القربة وهو حبيلها الذي تعلق به.

(٥) حمل وقرأ.

(٦) جانب كور البعير.

• وأخرج أبو داود في كتاب القدرية وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم عن عمر رضي الله عنه أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، فقال له قس<sup>(١)</sup> بين يديه كلمة بالفارسية فقال عمر لمترجم يترجم له ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضل أحدا، فقال عمر: كذبت يا عدو الله بل الله خلقك وهو أضلك وهو يخلق النار إن شاء الله ولولا ولت<sup>(٢)</sup> عقدا لضربت عنقك، ثم قال: إن الله لما خلق آدم نثر نريته فكتب أهل الجنة وما هم عاملون وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه، فتفرق الناس ويختلفون في القدر. وعند اللالكائي وابن عساكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن أبيزى قال: أتى عمر فقيل له: إن ناسا يتكلمون في القدر، فقام خطيبا فقال: يا أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم من الأمم في أمر القدر، والذي نفس عمر بيده! لا أسمع برجلين يتكلمان فيه إلا ضربت أعناقهما، فأحجم الناس فما تكلم أحد حتى ظهر نابغة بالشام زمن الحجاج؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٨٦).

• وأخرج العدني عن الباهلي أن عمر قام في الناس خطيبا مدخله في الشام بالجابية فقال: تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله، واعلموا أنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق الله، قول بحق وتذكير عظيم، واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجابا فإن صبر أتاه رزقه وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه، وأدبو الخيل وانتضلوا<sup>(٣)</sup> وانتعلوا وتسوكوا وتمعدوا<sup>(٤)</sup> وإياكم وأخلاق العجم ومجاورة الجبارين وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير إزار وتدعوا<sup>(٥)</sup> نساءكم يدخلن الحمامات! فإن ذلك لا يحل، وإياكم أن تكسبوا من عقد الأعاجم بعد نزولكم في بلادهم ما يحبسكم في أرضهم! فإنكم توشكون أن ترجعوا إلى بلادكم، وإياكم والصغار أن تجعلوه في رقابكم! وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم، واعلموا أن الأشربة تصنع من ثلاثة من الزبيب والعسل والتمر فما عتق منها فهو خمر لا يحل، واعلموا أن الله لا يزكي ثلاثة نفر ولا ينظر إليهم ولا يقربهم يوم القيامة

(١) من كان بين الأسقف والشماس.

(٢) كذا في الأصل، ولعله: ولت عقدا، والولت العهد المحكم.

(٣) ارموا بالسهام.

(٤) أي تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا أهل غنظ وقشف أي كونوا مثلهم ودعوا للتعصم وزى العجم.

(٥) تتركوا.

ولهم عذاب أليم: رجل أعطى أمامه صفقة يريد بها الدنيا فإن أصابها وفي له وإن لم يصبها لم يف له، ورجل خرج بسلعة بعد العصر يحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فاشترت لقلوبه، وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام؛ ومن أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا<sup>(١)</sup> فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧).

وذكر في الكنز (ج ٨ ص ٢١٠) وعن موسى بن عقبة قال: هذه خطبة عمر ابن الخطاب يوم الجابية: أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه الذى بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداؤه فليس لهالك هلك معذرة فى فعل ضلالة حسبها هدى ولا فى ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعاهدكم بما الله عليه من وظائف دينهم الذى هداهم الله له وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وبمعصيته وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل فى قريب الناس وبعيدهم ولانبألى على من مال الحق، وقد علمت أن أقواما يتمنون فى دينهم فيقولون: نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه، وإن الإيمان ليس بالتحلى وإن للصلاة وقتا اشترطه الله فلا تصلح إلا به فوقت صلاة الفجر حين يزائل المرء ليله ويحرم على الصائم طعامه وشرابه فأتوها حظها من القرآن ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ فحين تزيف عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك وذلك حين يهجر المهجر، فإذا كان الشتاء فحين تزيف عن الفلك حتى تكون على حاجبك الأيمن مع شروط الله فى الوضوء والركوع والسجود، وذلك لأن لاينام عن الصلاة ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية قبل أن تصفار قدر ما يسير الراكب على الجمل النقال فرسخين قبل غروب الشمس، وصلاة المغرب حين تغرب الشمس ويفطر الصائم، وصلاة العشاء حين يعسعس<sup>(٢)</sup> الليل وتذهب حمرة الأفق إلى ثلث الليل فمن رقد قبل ذلك فلا أرقد الله عينيه، هذه مواقيت الصلاة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢) يظلم.

(١) منجما أو حازيا يدعى علم الغيب.

(٣) سورة النساء الآية ١٠٣.

ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات، ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو واجتتاب الحرام، وقد يقاتل أقوام: يحسنون القتال لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف<sup>(١)</sup> من الحتوف وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فينجى من يعرف ومن لا يعرف، وإن الرجل ليحب بطبيعته فيسلم أباه وأمه، وإن الكلب ليهر<sup>(٢)</sup> من وراء أهله، واعلموا أن الصوم حرام يجتنب فيه أذى المسلمين كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء فذلك الصيام التام، وإيتاء الزكاة التي فرض رسول الله ﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها برا، فافهموا ما توعظون به فإن الحرب من حرب دينه وإن السعيد من وعظ بغيره وإن الشقى من شقى في بطن أمه وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة، وإن للناس نفرة عن سلطانهم فعائد بالله أن يدركي وإياكم ضغائن<sup>(٣)</sup> مجبولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة وقد خشيت أن تركنوا إلى الذين ظلموا فلا تطمئنوا، إلى من أوتى مالا عليكم بهذا القرآن فإن فيه نورا وشفاء وبغيره الشقاء، وقد قضيت الذي عليّ فيما ولأني الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحا لكم وقد أمرنا لكم بأرزاقكم وقد جندنا لكم جنودكم وهيأنا لكم مغازيكم وأثبتنا لكم منازلكم ووسعنا لكم ما بلغ فيكم وما قاتلتم عليه بأسيا فكم، فلا حجة لكم على الله بل الله الحجة عليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقال ابن كثير في البداية (ج ٧ ص ٥٦) ذكر سيف في سياقه أن عمر ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعدما استخلف عليها على بن أبي طالب فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة: أيها الناس! أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم واعملوا لأخركم تكفوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساعته سيئته فهو مؤمن. وهي خطبة طويلة اختصرناها - انتهى.

(١) الموت.

(٢) يفتح.

(٣) جمع ضغينة وهي الحقد.

• وعند أحمد (ج ١ ص ١٨) عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى فيكم فقال: استوصوا بأصحابي خيرا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى أن الرجل ليبئدئ بالشهادة قبل أن يسألها، فمن أراد منكم بحبة<sup>(١)</sup> الجنة فليزلم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

وعند أحمد أيضاً (ج ١ ص ٥١) عن سويد بن غفلة أن عمر رضي الله عنه خطب الناس بالجابية<sup>(٢)</sup> فقال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاثة أو أربعة وأشار بكفه. وذكر في البداية (ج ٧ ص ٧٩) وأيضاً قال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس<sup>(٣)</sup> في آخر سنة سبع عشرة قال: فلما أراد القفول<sup>(٤)</sup> إلى المدينة في ذى الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا! إني قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولانى الله من أمركم، إن شاء الله فبسطنا بينكم فينكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغناكم ما لدينا فجدنا لكم الجنود وهيانا لكم العروج وبوانا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغى العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله - انتهى.

• وأخرج ابن جرير الطبرى فى تاريخه (ج ٣ ص ٢٨١) عن عروة بن الزبير وغيره أن عمر خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس! إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استئضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير، فربى المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

(٢) قرية من أعمال دمشق.

(١) أى وسط الجنة.

(٤) الرجوع.

(٣) كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس.

• وعنده أيضاً بهذا الإسناد أن عمر خطب فقال: إن الله عز وجل قد ولاني أمركم وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم وإني أسأل الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم أن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي وأتقدم وأبين لكم أمري، فأيا رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق ليؤذني فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرمانكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليّ فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هودة، وأنا حبيب إلى صلاحكم عزيز على عتبتكم، وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامّة ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله.

• وذكر ابن جرير أيضاً في تاريخه (ج ٣ ص ٢٨٢) أن عمر رضي الله عنه خطب أيضاً فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم: أيها الناس! إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئاً أخذ بسريرته ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١). أيها الناس! أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطي (٢) فإنه إن لم يشف (٣) فإنه يصف؛ أيها الناس! إنسى

(١) سورة التغابن الآية ١٦.

(٢) جمع قبطية وهي الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكأنه منسوب إلى القبط وهم أهل مصر، وضم القاف من تغيير النسب.

(٣) يقال شف الثوب يشف شفوفاً إذا بدا ما وراءه ولم يستره أي أن القباطي ثياب رقاق ضعيفة النسيج فإذا لبستها المرأة لصقت باردانها فوصفتها فنهى عن لبسها وأحب أن يكسبن الثخان الغلاظ.

لوددت أن أنجو كفافا لا لى ولا على وإنى لأرجو إن غمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف<sup>(١)</sup>، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجدته حديد الفؤاد فليشتره.

• وأخرج ابن جرير أيضاً في تاريخه (ج ٣ ص ٢٨٣) عن عروة وغيره قالوا: خطب عمر أيضاً فقال: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>(٢)</sup> وحملك في البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلمكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا.

ومن نعم الله عليكم نعم عم بها نبي آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم<sup>(٣)</sup> حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله يجزون لكم يستصنفون معاشهم وكدائهم وشرح جباههم عليهم المونة<sup>(٤)</sup> ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل<sup>(٥)</sup> يلجأون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة<sup>(٦)</sup> العيش استفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام،

(٣) أثقلهم.  
(٦) أى السعة.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠.  
(٥) الملجأ.

(١) أى شدة.  
(٤) المشقة.

والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله! بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادي، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِج قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>. فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنتم كنتم أشد الناس معيشة وأثبته بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استسلاككم<sup>(٣)</sup> به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىاء<sup>(٤)</sup> أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب.

• وأخرج ابن جرير عن كليب قال: خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾<sup>(٥)</sup>. قال: لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزرو<sup>(٦)</sup> كأنني أروى<sup>(٧)</sup>، والناس يقولون: قتل محمد، فقلت: لا أحد يقول قتل محمد إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾.

(١) سورة إبراهيم الآية ٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٦.

(٣) أي استفدكم به من الهلكة.

(٤) جمع حرى أي الخلق.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٥.

(٦) أي أثب.

(٧) جمع أروية وهي شاة الجبل.

• وعند ابن المنذر عن كليب قال: خطبنا عمر وكان يقرأ على المنبر: آل عمران ويقول: إنها أحذية ثم، قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل فسمعت يهودياً يقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه! فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٢٣٨).

• وأخرج أبو عبيد والخرائطي والصابوني وعبد الرزاق عن عبد الله بن عدى بن الخيار قال: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: إن العبد إذا تواضع لله رفعه الله<sup>(٢)</sup> حكمة، وقال: انتعش نعشك الله وهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبر وعدا طوره وهسه<sup>(٣)</sup> الله إلى الأرض وقال: أخسأ أخسأك الله، هو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير حتى لهو أهون عليهم من الخنزير، كذا في الكنز (ج ٢ ص ١٤٣).

• وأخرج الخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: إني لعلى أنهاكم عن أشياء تصلح وأمركم بأشياء لا تصلح لكم، وإن من آخر القرآن نزولاً آية الربا، وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينها لنا، فدعوا ما يريكم إلى ما لا يريكم؛ كذا في الكنز (ج ٢ ص ٢٣٢).

• وأخرج ابن الضياء عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خطب الناس فقال: من أراد منكم الحج فلا يحرم من إلا من ميقات، والمواقيت التي وقتها لكم رسول الله ﷺ: لأهل المدينة ومن مر بها من غير أهلها ذو الحليفة، ولأهل الشام ومن مر بها من غير أهلها الجحفة، ولأهل نجد ومن مر بها من غير أهلها قرن، ولأهل اليمن يللم، ولأهل العراق وسائر الناس ذات عرق؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ٣٠).

• وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو عبيد عن ابن عباس قال: خطب عمر ﷺ فذكر الرجم فقال: لاتخذن عنه فإنه حد من حدود الله، ألا! إن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه لكتبت في ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٢) كذا في الأصول، رفع الله حكمته أي قدره ومنزلته.

(٣) أي كسره.

وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ألا! وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالذجال وبالشفاعة وبعبذاب القبر ويقوم يخرجون من النار بعد ما امتحسوا.

• وعند مالك وابن سعد ومسدد والحاكم عن سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه لما أفاض من منى أناخ بالأبطح فكوم<sup>(١)</sup> كومة من بطحاء فطرح عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم! كبر سنى وضعف قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط، فلما قدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس! قد فرضت لكم الفرائض وسننت لكم السنن وتركتكم على الواضحة، ثم صفق بيمينه على شماله ألا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا، ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم وأن يقول قائل: لانجد حديثه في كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم ورجمنا بعده، فوالله لولا أن يقول الناس: أحدث عمر في كتاب الله لكتبتها في المصحف، فقد قرأناها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن؛ كذا في الكنز (ج ٣ ص ٩٠).

• وأخرج الطيالسي وابن سعد وابن أبي شيبه وأحمد وابن حبان ومسلم والنسائي وأبو عوانة وأبو يعلى عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى أن عمر ابن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكر أبا بكر ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا بحضور أجلي، رأيت: كأن ديكا نقرني نقرتين أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عميس فقالت: يقتلك رجل من العجم وإن الناس يأمروني أن أستخلف وإن الله عز وجل لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها نبيه ﷺ وأن يعجل بي أمر فإن الشورى في هؤلاء الستة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإنى أعلم أن أناسا يستطيعون<sup>(٢)</sup> في هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام أولئك أعداء الكفار الضلال وإنى لأدع شيئا، أهم عندي من أمر الكلاله، وأيم الله! ما أغلظ لى نبي الله ﷺ فى شىء منذ صحبتته أشد مما أغلظ

(١) أى جمع وجعل كومة وهى القطعة المجتمعة المرتفعة من التراب ونحوه.

(٢) كذا فى الطبعة الأولى من الكنز، وفى الثانية ٤٢٣/٥ عن ابن سعد: سيطعون.

لى فى شأن الكلاله حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال: يكفيك آية الصيف التى نزلت فى آخر سورة النساء، وإنى إن أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ، وإنى أشهد الله على أمراء الأمصار إنى إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويرفعوا إلى ما عمى عليهم، ثم إنكم أيها الناس! تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا الثوم والبصل، وأيم الله! لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحها من الرجل فيأمر به فيؤخذ بيده فيخرج من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمن أكلها لا بد فليمتها طبخا، فخطب الناس يوم الجمعة، وأصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة؛ كذا فى الكنز (ج ٣ ص ١٥٣).

• وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأحمد والشاشى والبيهقى وسعيد بن منصور عن يسار بن معرور قال: خطبنا عمر ﷺ فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ نبي هذا المسجد ونحن معه المهاجرون والأنصار، فإذا اشتد الزحام فليسجد الرجل منكم على ظهر أخيه، ورأى قوما يصلون فى الطريق فقال: صلوا فى المسجد؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٢٥٩).

• وأخرج ابن عساکر وسعيد بن منصور وتمام عن عمر ﷺ قال: لما ولى عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها، والله! لا أعلم أحدا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها ولا أجد رجلا من المسلمين تمتعا إلا جلده مائة جلدة إلا أن يأتينى بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلها بعد إذ حرمها؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٩٣).

• وأخرج البيهقى عن عبد الله بن سعيد عن جده أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ على المنبر يقول: يا معشر المسلمين! إن الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم من نسائهم وأولادهم ما لم يفئ على رسول الله ﷺ ولا على أبى بكر، وقد عرفت أن رجالا يسلمون بالنساء، وأيما رجل ولدت له امرأة من نساء العجم فلا تبعوا أمهات أولادكم! فإنكم إن فعلتم أوشك الرجل أن يطأ حريمه وهو لا يشعر؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٩٢).

• وأخرج ابن جرير عن معرور أو ابن معرور التميمى قال: سمعت عمر ابن الخطاب ﷺ وصعد المنبر قعد دون مقعد رسول الله ﷺ بمقعدين، فقال:

أوصيكم بتقوى الله واسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله أمركم؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والغضب والطمع ووفق إلى الصدق في الحديث فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور! ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود، اليوم حى وغدا ميت، اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدوا أنفسكم من الموتى؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٨).

• وأخرج البخاري في الأدب وابن خزيمة وجعفر الفريري عن قبيصة قال: سمعت عمر رضي الله عنه وهو يقول على المنبر: من لا يرحم لا يرحم، ومن لا يغفر لا يغفر له، ومن لا يتوب<sup>(١)</sup> لا يتاب عليه، ومن لا يتق لا يوقه؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٧).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٥٠) عن عروة قال: قال عمر رضي الله عنه في خطبته تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا ينس من شيء استغنى عنه، وأخرجه ابن المبارك أيضاً؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٣٥).

• وأخرج أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٥٤ عن عبد الله بن خراش عن عمه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: اللهم! اعصمنا بحبك وثبتنا على أمرك، وأخرجه أيضاً أحمد في الزهد والرويانى واللائكائى وابن عساکر وزادوا: وارزقنا من فضلك؛ كما في الكنز (ج ١ ص ٣٠٣).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٧) عن أبي سعيد قال: خطب عمر الناس فقال: إن الله عز وجل رخص لنبية ﷺ ما شاء، وإن نبى الله ﷺ قد مضى لسبيله ﴿وَأْتِمُوا تَحِجَّ وَالْمَمْرَةَ﴾<sup>(٢)</sup>. كما أمركم الله عز وجل، وحصنوا فروج هذه النساء.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٢٠) عن ابن الزبير قال: سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: إنه سمع من رسول الله ﷺ يقول: من يلبس في الدنيا فلا يكساه في الآخرة.

(١) كذا في الكنز، والظاهر من لا يتب.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٣٤) عن أبي عبيد مولى عبد الرحمن بن عوف أنه شهد العيد مع عمر بن الخطاب ﷺ فصلى قبل أن يخطب بلا أذان ولا إقامة ثم خطب فقال: يا أيها الناس! إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، أما أحدهما فيوم فطرکم من صيامکم وعيدکم، وأما الآخر فيوم تأکلون فيه من نسککم.

• أخرج أحمد (ج ١ ص ٤٣) عن علقمة بن وقاص الليثي أنه سمع عمر ابن الخطاب ﷺ وهو يخطب الناس وهو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما العمل بالنية، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

• وأخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٣٢٢) عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر ابن الخطاب الناس في زمان الرمادة فقال: أيها الناس! اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمرکم فقد ابتليت بکم وابتليت بي، فما أدري السخطة على دونکم أو عليكم دوني أو قد عميتي وعمتکم، فهلّموا فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المحل، قال: فرئى عمر يومئذ رافعا يديه يدعو الله ودعا الناس وبكى وبكى الناس مليا ثم نزل.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٤٤) عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

## خطب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ

• أخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٦٢) عن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومي أن عثمان ؓ لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إن أول مركب صعب وإن بعد اليوم أياما وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها وما كنا خطباء وسيعلمنا الله.

• وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (ج ٣ ص ٣٠٥) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان وهو أشد كآبة<sup>(١)</sup> فأتى منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: إنكم في دار قلعة<sup>(٢)</sup> وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا! وإن الدنيا طويت على الغرور، ﴿فَلَا تَعْرَنَ كُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَنَ كُمْ بِاللَّهِ الْعُرُوءُ﴾<sup>(٣)</sup>. اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؟ ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا والذي هو خير فقال عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا \* أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾<sup>(٤)</sup>. وأقبل الناس يبايعونه.

• وأخرج ابن جرير أيضا في تاريخه (ج ٣ ص ٤٤٦) بإسناد فيه سيف عن عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال: أما بعد فأني قد حملت وقد قبلت، ألا! وإنى متبع ولست بمبتدع، ألا! وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثا: إيتاع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ والكف عنكم إلا فيما استوجبتم، ألا! وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تنقوا بها فإنها ليست بنقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها.

(١) أي تحول وارتحال.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٥، ٤٦.

(٣) تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن.

(٤) سورة لقمان الآية ٣٣.

• وأخرج الدينورى فى المجالسة وابن عساكر عن مجاهد قال: خطب عثمان ابن عفان فقال فى خطبته: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذى وكل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك منذ أنت فى الدنيا وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرک واستعد له ولا تغفل فإنه لا يغفل عنك، واعلم ابن آدم! إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لم يستعد لها غيرك، ولا بد من لقاء الله فخذ لنفسك ولا تكلها إلى غيرك والسلام؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ١٠٩).

• وأخرج الدينوزى وابن عساكر عن الحسن أن عثمان بن عفان خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واكتسب من نور الله نورا لظلمة القبر، وليخش عبداً أن يحشره الله الأعمى وقد كان بصيراً، وقد يكفى الحكيم جوامع الكلم والأصم ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؛ كذا فى الكنز (ج ٨ ص ٢٢٤).

• وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال: رأيت عثمان على المنبر قال: يا أيها الناس! اتقوا الله فى هذه السرائر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذى نفس محمد بيده! ما عمل أحد عملاً قط سراً إلا ألبسه رداءه علانية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم تلا هذه الآية ورياشاً - ولم يقل - ﴿رَيْثًا وَيَلِاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾<sup>(١)</sup>. قال: السمى الحسن؛ كذا فى الكنز (ج ٢ ص ١٣٧).

• وأخرج أحمد والبخارى والمروزي والشاشى وأبو يعلى وسعيد بن منصور عن عباد بن زاهر قال: سمعت عثمان يخطب فقال: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر وكان يعود مرضانا ويشيع جنازتنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير وإن ناساً يعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط؛ كذا فى الكنز (ج ٤ ص ٤٤) قال الهيثمى (ج ٧ ص ٢٢٨) رواه أحمد وأبو يعلى<sup>(٢)</sup> فى الكبير وزاد: فقال له أعين ابن امرأة الفرزدق: يا نعتل! إنك قد بدلت، فقال: من هذا؟ فقالوا: أعين، فقال: بل أنت أيها العبد، قال: فوثب الناس إلى أعين،

(١) كذا فى الأصل، والظاهر: الطبرانى.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٦.

قال: وجعل رجل من بنى ليث يزعهم<sup>(١)</sup> عنه حتى أدخله داره؛ ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة - انتهى.

• وأخرج الشافعي والبيهقي (ج ٨ ص ٩) عن مالك عن عمه أبي سهيل ابن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان يقول في خطبته: لا تكلفوا الصغير الكسب فإنه متى كلفتموه الكسب سرق، ولا تكلفوا الأمة غير ذات الصنعة الكسب فإنكم إن كلفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفوا إذ أعفكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها؛ قال البيهقي: ورفع بعضهم عن عثمان من حديث الثوري ورفع ضعيف، كذا في الكنز (ج ٥ ص ٤٧).

• وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس! إياكم والميسر - يريد النرد - فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت ناس منكم، فمن كان في بيته فليحرقها أو يكسرها؛ وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس! إنى قد كلمتكم في هذا النرد ولم أركم قد أخرجتموها، فلقد هممت أن أمر بحزم الحطب ثم أرسل إلى بيوت الذين هن في بيوتهم فأحرقها عليهم؛ كذا في الكنز (ج ٧ ص ٣٣٤).

• وأخرج البيهقي وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمن بن حميد أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال: أيها الناس! إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه، لكن حدث العام من الناس فخفت أن تستنوا؛ كذا في الكنز (ج ٤ ص ٢٣٩).

• وأخرج ابن عساكر عن قتيبة بن مسلم قال: خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر فما زال يقول: إنه بيت الوحدة وبيت الغربة - حتى بكى وأبكى من حوله ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبة: ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر وذكره إلا بكى؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ١٠٩).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ٦٢) عن سعيد بن المسيب قال: سمعت عثمان

(١) أى ينعهم.

يخطب على المنبر وهو يقول: كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم بنو قينقاع فأبيعه بربح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان! إذا اشتريت فاقتل وإذا بعته فكل.

• وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (ج ٣ ص ٤٤٦) من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركتوا إليها، إن الدنيا تنفى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، فأثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير والزموا جماعتكم، لاتصيروا أحزاباً ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١). وقد تقدم ما قال عثمان في خطبة في فضل الحرس في سبيل الله في باب الجهاد.

• أخرج الإمام أحمد (ج ١ ص ٦٥) عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان ؓ قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنني كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهة تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل.

• وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (ج ١ ص ٦١) عن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير - رضي الله عنهما - قال قال عثمان بن عفان ؓ - وهو يخطب على منبره - : إنني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضن عليكم، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلاً ويصام نهارها.

\* \* \*

### خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

• أخرج ابن جرير في تاريخه (ج ٣ ص ٤٥٧) بإسناد فيه سيف عن علي ابن الحسين أول خطبة خطبها علي عليه السلام حين استخلف حمد الله وأثنى عليه فقال: إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بيّن فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يودكم إلى الجنة، إن الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشدد بالإخلاص والتوحيد للمسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإن ما من خلفكم الساعة تحذوكم، تخفقوا تلتحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عبادته وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض.

• وأخرج أبو الشيخ عن علي أنه خطب فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته، إنه إن كف يده عنهم كف يدا واحدة، وكفوا عنه أيدي كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسألتو عليكم بذلك آيات من كتاب الله، فتلا هذه الآية ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>. قال علي: والركن الشديد: العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة، فوالذي لا إله إلا هو ما بعث الله نبيا قط بعد لوط إلا في ثروة من قومه - وتلا هذه الآية في شعيب ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِتْنًا صَاحِبًا﴾<sup>(٢)</sup>. قال: كان مكفوبا فنسبوه إلى الضعف ﴿وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ قال علي: فوالذي لا إله غيره! ما هابوا جلال ربهم إلا العشيرة؛ كذا في الكنز (ج ١ ص ٢٥٠).

• وأخرج الحسين بن يحيى القطان والبيهقي عن الشعبي قال: كان علي يخطب إذا حضر رمضان ثم يقول: هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ليحذر رجل أن يقول: أصوم إذا صام فلان وأفطر إذا أفطر

(٢) سورة هود الآية ٩١.

(١) سورة هود الآية ٨٠.

فلان، ألا! إن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل والكفر، ألا! لا تقدموا الشهر، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأتوا العدة، قال: كان يقول ذلك بعد صلاة الفجر وصلاة العصر؛ كذا في الكنز (ج ٤ ص ٣٢٢).

• وأخرج الصابوني في المائتين وابن عساكر عن علي أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: عباد الله! والله الموت ليس منه فوت! وإن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاة النجاة والوحاء<sup>(١)</sup> الوحاء! وراءكم طالب حثيث<sup>(٢)</sup> القبر فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا! وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، ألا! وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد وقعرها بعيد حليها حديد وخازنها مالك، ليس لله فيه - وفي لفظ: فيها - رحمة، وألا! وراء ذلك جنة عرضها السموات<sup>(٣)</sup> والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ١١٠). وذكر ابن كثير في البداية (ج ٨ ص ٦) هذه الخطبة عن الأصبغ بن نباتة قال: سعد على ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت - فذكر نحوه وزاد بعد قوله: أنا بيت الوحشة، ألا! وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. وزاد في روايته: ثم بكى وبكى المسلمون حوله.

• وأخرج الدينوري وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلي عن أبيه قال: خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: عباد الله! لا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي ما بين أهلها دول وسجال، لمن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها في رخاء<sup>(٤)</sup> وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، العيش فيها مضموم والرخاء فيها لايدوم، وإنما أهلها فيها أغراض<sup>(٥)</sup>

(١) السرعة السرعة.

(٢) في الكنز: كعرض السماء.

(٣) جمع غرض وهو الهدف.

(٤) سريع.

(٥) سعة العيش.

مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم<sup>(١)</sup> بحمامها؛ عباد الله! إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هادمة<sup>(٢)</sup> خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية<sup>(٣)</sup>، واستبدلوا بالقصور المشيدة<sup>(٤)</sup> والسرر<sup>(٥)</sup> والنمازق<sup>(٦)</sup> الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور الملاطية الملحدة التي قد بين الخراب<sup>(٧)</sup> فناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فملها مقرب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بال عمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم<sup>(٨)</sup> البلاء وأكلتهم الجنادل<sup>(٩)</sup> والثرى؛ فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة<sup>(١٠)</sup> العيش رفاتا<sup>(١١)</sup>، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وطمعوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات! كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى في دار الموتى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقتمم للتحصيل بين يدي ملك جليل؟ فطارت القلوب لإشفاقها<sup>(١٢)</sup> من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ليجزى الذين أساعوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا، جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢١٩) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٤)، وذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة

(٣) أي محووة.

(٢) أي سلكنة.

(١) تكسروهم بموتها.

(٤) أي مبنية بالشيد وهو كل ما طليت به الحائط من جص وغيره.

(٦) جمع نمرقة أي الوسادة.

(٥) جمع سرير.

(٨) أي أهلكتهم.

(٧) وفي صفة الصفوة: بنى على الخراب.

(١٠) أي طيب العيش ولذته.

(٩) جمع جنديل وهو الصخر العظيم.

(١٢) لخوفها.

(١١) الرفات كل ما دق وكسر.

(ج ١ ص ١٢٤) بطولها وزاد في أوله: إن علي بن أبي طالب خطب فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح<sup>(١)</sup> به عنكم وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا - فذكر نحوه.

• وأخرج أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٧٧) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن عليا شيع جنازة فلما وضعت في لحدها عج<sup>(٢)</sup> أهلها وبكوا فقال: ما تكون؟ أما والله! لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد؛ ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصارا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها<sup>(٣)</sup> في تركيب صورها، وما أمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحا بل أكرمكم بالنعم السوابغ<sup>(٤)</sup> وأرقدكم بأوفر الروافد<sup>(٥)</sup> وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله! وجدوا في الطلب وبادروا بالعمل مقطع النهمات<sup>(٦)</sup> وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل وشبح فائل<sup>(٧)</sup> وسناد مائل، يمضي مستطرفا ويردى مستردفا بأنعاب شهواتها وختل تراضعها، اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآيات والأثر وازدجروا بالنذر وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب<sup>(٨)</sup> المنية وضمكم بيت التراب ودهمتكم مقضعات الأمور بنفخة الصور وبعثرة القبور، وسياقة المحشر وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها وشاهد يشهد عليها بعملها وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون،

(١) ليزيل.

(٢) أي ما أصابها بدهية ومصيبة.

(٣) أي رفعا أصواتهم.

(٤) أي الكاملة.

(٥) أي المطايا.

(٦) الحاجات، والمراد من مقطع النهمات وهادم اللذات الموت.

(٧) أي ضعيف.

(٨) جمع مخلب وهو لسباع الطيور والبهائم بمنزلة الظفر للإنسان.

فارتجت<sup>(١)</sup> لذلك اليوم البلاد ونادى المنادى وكان يوم التلقى وكشف عن ساق، وكسفت الشمس وحشرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة<sup>(٢)</sup> وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب<sup>(٣)</sup> وقصيف<sup>(٤)</sup> رعد وتغيظ ووعيد، تأجج جحيمها وغلا حميمها وتوقد سمومها، فلا ينفس خالداها ولا تتقطع حسراتها ولا يقصم كبولها، معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم وتصلية جحيم عن الله محجوبون ولأوليائه مفارقون وإلى النار منطلقون، عباد الله! اتقوا الله تقيّة من كنع<sup>(٥)</sup> فخنع<sup>(٦)</sup> وجل فرحل وحذر فأبصر فازدجر<sup>(٧)</sup> فاحتث<sup>(٨)</sup> طلبيا ونجا هربا وقدم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقما وبصيرا، وكفى بالكتاب خصما وحجيجا، وكفى بالجنة ثوبا، وكفى بالنار وبالا وعقابا؛ وأستغفر الله لى ولكم.

• وأخرج الدينورى وابن عساكر عن علي عليه السلام أنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن الضمار<sup>(٩)</sup> اليوم وغدا السباق، ألا! وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر فى أيام أملة قبل حضور أجله فقد خيب<sup>(١٠)</sup>، ألا! فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة، ألا! وإنى لم أر كالجنة نائم طالبيها ولم أر كالنار نائم هاربيها، ألا! وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار<sup>(١١)</sup> به الضلال، ألا! وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا! إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم، أيها الناس! أحسنوا فى عمركم تحفظوا فى عقبكم، فإن الله تبارك وتعالى وعد جنّته من أطاعه ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ<sup>(١٢)</sup> زفيرها ولا يفك أسيرها ولا يجبر كسيرها، حرها شديد وقعرها بعيد وماؤها صديد، وإن أخوف

(٣) أى صوت وجلبة مع اختلاط.

(٦) أى ذل.

(٩) وفى البداية: المضمار.

(١٢) لا يسكن صوتها.

(٢) مهلكة.

(٥) أى خضع ولان.

(٨) أى أسرع.

(١١) وفى البداية: جاد.

(١) اضطربت.

(٤) أى صوت هائل.

(٧) أى كف نفسه.

(١٠) وفى البداية: فقد خاب عمله.

ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٤) وذكر ابن كثير في البداية (ج ٨ ص ٧) هذه الخطبة بطولها عن وكيع عن عمرو بن منبه عن أوفى بن دلهم وقال: وفي رواية: فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وإن طول الأمل ينسى الآخرة.

• وأخرج ابن النجار عن زياد الأعرابي قال: سعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وحنقته العبرة فبكى حتى اخضلت<sup>(١)</sup> لحيته بدموعه وجرت ثم نفض لحيته فوق رشاشها على ناس من أناس فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار، ثم قال: يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى ويبتغي الزيادة فيما بقى، ويأمر ولا يأتي، وينهى ولا ينتهى، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فتن وإن مرض حزن وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يعاقى فلا يشكر ويبتلى فلا يصبر، كأن المحذر من الموت سواه، وكأن من وعد وزجر غيره، يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! ويا فاكهة الزمان! ويا نور الحدثان! ويا أخرس عند الحجج! ويا من غمرته الفتن وحيل بينه وبين معرفة العبر! بحق أقول: مانجا من نجا إلا بمعرفة نفسه وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُرْآنًا فَسُكْرًا وَأَهْلِكُوا نَارًا﴾<sup>(٢)</sup>. جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل ودعى إلى العمل فعمل؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) والمنتخب (ج ٦ ص ٣٢٥).

• وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، أنزل الله بهم العقوبات، ألا! فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب

(٢) سورة التحريم الآية ٦.

(١) ابتلت.

أجلا، إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره<sup>(١)</sup> فلا يكون ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم مالم يغش دناءة يظهر تخشعا لها إذا ذكرت ويغرى به لئام الناس كاللياسر<sup>(٢)</sup> الفالغ<sup>(٣)</sup> الذي ينتظر أول فوزه<sup>(٤)</sup> من قداحه توجب له المغنم وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسينيين إذا ما دعا الله فما عند الله هو خير له وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال، الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، قد يجمعهما الله لأقوام. قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا على بن أبي طالب؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٢٠) ومنتخبه (ج ٦ ص ٣٢٦). وذكره في البداية (ج ٨ ص ٨) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن يحيى فذكر من قوله: إن الأمر ينزل من السماء - إلى آخره نحوه، وفيما ذكره: فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

• وأخرج البيهقي عن أبي وائل قال: خطب عليّ ﷺ الناس بالكوفة فسمعتة يقول في خطبة: أيها الناس! إنه من يتفقر افتقر ومن يعمر يبنتلى ومن لا يستعد للبلاء إذا ابتلى لا يصبر ومن ملك استأثر ومن لا يستشير يندم، وكان يقول من وراء هذا الكلام: يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، وكان يقول: ألا! لا يستحي الرجل أن يتعلم، ومن يسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، مساجدكم يومئذ عامرة وقلوبكم وأبدانكم خربة من الهدى، شر من تحت ظل السماء فقهاؤكم منهم تبدو الفتنة وفيهم تعود، فقام رجل فقال: فقيم يا أمير المؤمنين! قال: إذا كان الفقه في رذالك<sup>(٥)</sup> والفاحشة في خياركم والملك في صغاركم فعند ذلك تقوم الساعة؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢١٨).

(١) وفي البداية ج ٨ ص ٨ عن ابن أبي الدنيا: عشرة.

(٢) الفالغ الغالب في قمار.

(٣) اللياسر المقامر.

(٤) وفي البداية: فورة.

(٥) جمع رذيل.

وذكر ابن كثير في البداية (ج ٧ ص ٣٠٧) أن علياً عليه السلام قام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح وناشر الموتى وباعث من فى القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد فى سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته. وصوم شهر رمضان فإنه جنة<sup>(١)</sup> من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقير مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة فى المال منسأة فى الأجل محبة فى الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول، أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتنوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى، واستسنوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقها فى الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما فى الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون.

وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذى لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير فى جهله وكلاهما مضلل مثير، لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ولا تذهلوا فى الحق فتخسروا، ألا! وإن من الحزم أن تتقوا ومن الثقة ألا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه فى العاقبة، وخير مادام فى القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة، المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه، وإن الربا من الشرك وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان وتدعو إلى كل غي، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار وهى مصائد<sup>(٢)</sup> الشيطان،

(٢) جمع مصيدة وهى ما يصاد به.

(١) أى ستر.

فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب بجانب للإيمان،  
 ألا! إن الصدق على شرف منجاة وكرامة وإن الكذب على شرف ردى وهلكة،  
 ألا! وقولوا الحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من  
 انتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمتكم، وإذا عاهدتم  
 فأوفوا وإذا حكمتكم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالأباء ولا تتبايزوا بالألقاب ولا تمازحوا  
 ولا يغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله  
 وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام  
 وردوا التحية على أهلها يمثلها أو بأحسن منها ﴿وَعَاوِظُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْقَوِيٍّ وَلَا نَعَاوِظُوا  
 عَلَى الْإِثْرِ وَالْمُدْرِنِ وَأَقْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأكرموا الضيف وأحسنوا إلى الجار وعودوا المرضى وشيعوا الجنابة  
 وكونوا عباد الله إخواناً؛ أما بعد! فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع وإن الآخرة  
 قد أطلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة  
 والغاية النار، ألا! وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله  
 عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمهله، ومن قصر عن  
 ذلك فقد خسر عمله وخاب أمهله وضره أمهله، فاعملوا في الرغبة والرغبة فإن  
 نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رغبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا  
 الله واجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأنى المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة.

وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ولا أكثر مكتسباً من  
 شيء كسبه ليوم تدخر فيه الذخائر وتبلى فيه السرائر وتجتمع فيه الكبائر، وإنه  
 من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن  
 لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعاز به عنه أعور وغائبه عنه  
 أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، ألا! وإن أخوف ما أخاف عليكم  
 إثنان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة وأما اتباع  
 الهوى فيبعد عن الحق، ألا! وإن الدنيا قد ترحلت مديرة وإن الآخرة قد ترحلت  
 مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ولا تكونوا من بنى الدنيا،  
 فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. قال الحافظ ابن كثير: وهذه

خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد روى لها شواهد من وجوه آخر متصلة، والله الحمد والمنة - انتهى.

• وأخرج الطبراني عن أبي خيرة قال: صحبت علياً ﷺ حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كيف أنتم إذا نزل بزية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذا نبلى الله فيهم بلاء حسناً، فقال: والذي نفسي بيده! لينزلن بين ظهرانيكم ولتخرجن إليهم فلتقتلنهم ثم أقبل يقول:

هم أوردوه بالغرور وغردوا أجيئوا دعاه لا نجاة ولا عذرا

قال الهيثمي (ج ٩ ص ١٩١): وفيه سعيد بن وهب متأخر ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات - انتهى.

• وأخرج أحمد في مسنده ج ١ ص ٨١ عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا على ﷺ فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٢٧) عن إبراهيم النخعي قال: ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر وقال: خطبنا على ﷺ على هذا المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله أن يذكر وقال: إن خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - ثم أحدثنا بعدهما أحداثاً يقضى الله فيها. وعنده أيضاً (ج ١ ص ١٠٦) عن أبي جحيفة أنه صعد المنبر - يعني علياً ﷺ - فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر والثاني عمر - رضي الله عنهما -، وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب. وعنده أيضاً عن وهب السوائي بمعناه ألا إنه لم يذكر من قوله: ثم أحدثنا، وقال: وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ﷺ.

• وأخرج ابن أبي عاصم وابن شاهين واللالكائي في السنة والأصبهاني في الحجة وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا على ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه بلغني أن ناسا يفضلوني على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئاً من ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر عليه ما على المفترى، خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضى الله فيها ما يشاء؛ كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٦). وعند أبي نعيم في الحلية عن زيد ابن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي ﷺ في إمارته فقال: يا أمير المؤمنين! إنني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - بغير الذي هما له أهل، فنهض فرقى المنبر فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما إلا شقي مارق، فحبهما قرينة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين؟ فأنا برىء ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب؛ كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٣). وقد تقدمت هذه الخطبة بطولها في الغضب للأكابر.

• وأخرج اللالكائي وأبو طالب العشاري ونصر في الحجة عن علي بن حسين قال: قال فتى من بنى هاشم لعلي بن أبي طالب ﷺ حين انصرف من صفين: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة! تقول: اللهم! أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - إماما الهدى وشيخا الإسلام والمهتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اتبعهما هدى إلى صراط مستقيم، ومن اقتدى بهما يرشد ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون - كذا في المنتخب (ج ٤ ص ٤٤٤).

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١١٦) عن شيخ من بنى تميم قال: خطبنا على ﷺ أوقال: قال علي - ﷺ: يأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر على ما في يديه، قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ولا تتسوا الفضل بينكم،

وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبايع المضطرون، قال: وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين وعن بيع الغرر وعن بيع الثمرة قبل أن تدرك.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٠) عن ربيعي بن حراش أنه سمع علياً ﷺ يخطب يقول: قال رسول الله ﷺ: لا تكذبوا عليّ فإنه من يكذب عليّ يلج النار؛ وأخرجه الطيالسي (ص ١٧) عن ربيعي - مثله.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٦) عن أبي عبد الرحمن السلمى قال: خطب علي ﷺ قال: يا أيها الناس! أقيموا على أركانكم الحدود من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت، فأمرني رسول الله ﷺ أن أقيم عليها الحد، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن تموت فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أحسنت.

• وأخرج أحمد (ج ١ ص ١٥٦) عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا علي ﷺ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه! قال: قال الناس: فأعلمنا من هو، والله لنبيرين عترته! قال: أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي، قالوا: إن كنت قد علمت ذلك استخلف إذا، قال: لا، ولكن أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ.

• وأخرج عبد الرزاق وأبو عبيدة في الأموال والحاكم في الكنى وأبو نعيم في الحلية عن عمرو بن العلاء قال: خطب علي فقال: يا أيها الناس! والله الذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه - وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب فقال: أهداها إلى دهقان؛ كذا في المنتخب (ج ٥ ص ٥٤).

• وأخرج ابن مردويه عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب ﷺ على منبر الكوفة قال: كنت إن لم أسأل النبي ﷺ ابتدأني وإن سألتني عن الخير أنبأني. وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال: يقول الله عز وجل: وارتفاعة فوق عرشى؛ ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا

عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي؛ كذا في الكنز (ج ٨ ص ٢٠٣).

ونختتم خطب الإمام علي عليه السلام بهذه الخطبة التي كانت بمثابة تعظيم لله عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله.

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون. ولا يحصى نعماءه العادون. ولا يؤدي حقه المجتهدون. الذي لا يدركه بعد الهمم<sup>(١)</sup>. ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود. ولا وقت معدود. ولا أجل ممدود، فطر<sup>(٢)</sup> الخلائق بقدرته. ونشز الرياح برحمته. ووتد بالصخور ميدان<sup>(٣)</sup> أرضه، أول الدين معرفته<sup>(٤)</sup> وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه. لشهادة كل صفة أنه غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه. ومن ثناه فقد جزأه. ومن جزأه فقد جهله<sup>(٥)</sup>. ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده<sup>(٦)</sup>. ومن حده فقد عدّه. ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث<sup>(٧)</sup>. موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة. وغير كل شيء لا بمزايلة<sup>(٨)</sup>. فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه<sup>(٩)</sup>. متوحد إذ لا سكن يستأنس به. ولا يستوحش لفقده<sup>(١٠)</sup> أنشأ الخلق إنشاء. وابتدأ ابتداء. بلا روية أجالها<sup>(١١)</sup>. ولا تجد به استفادها. ولا حركة أحدثها. ولا هامة نفس اضطرب فيها<sup>(١٢)</sup>.

(١) أي أن أصحاب الفكر وإن علت وبعدت لاحتيط به علما.

(٢) الميدان: الحركة، ووتد: ثبت.

(٣) أول الدين معرفته: أي أساس الدين هو: معرفة الله تعالى.

(٤) جهله: أي جهل أنه منزّه عن مشابهة الماديات متدس عن مضارعة المركبات.

(٥) فقد حده: إنما تشير إلى شيء إذا كان منك في جهة فأنت تتوجه إليها بإشارتك، وما كان منك في جهة فهو منقطع

عن غير فيكون محدودا أي له طرف - ينتهي إليه فمن أشار إليه فقد حده.

(٦) لا عن حدث: الحدث الإبداء أي هو موجود لكن لا عن ليداء.

(٧) المزائلة: المقارنة والمباينة.

(٨) أي بصير بخلق قبل وجودهم.

(٩) ولا يستوحش لفقده: معناه أن الله متوحد مع التنزه عن السكن.

(١٠) أجالها: أي أدارها ورددتها.

(١١) هامة النفس أي اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

(٢) فطر: خلق.

أحال الأشياء لأوقاتها<sup>(١)</sup> ولام بين مختلفاتها<sup>(٢)</sup>. وعرز غرائزها<sup>(٣)</sup>. وألزمها أشباحها<sup>(٤)</sup> عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها. عارفا بقرائنها وأحنائها<sup>(٥)</sup> ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء<sup>(٦)</sup>. وشق الأرجاء وسكانك الهواء<sup>(٧)</sup>. فأجرى فيها ماء متلاطما تياره<sup>(٨)</sup> متراكما زخاره. حمله على متن الريح العاصفة. والزعزع القاصفة فأمرها برده<sup>(٩)</sup> وسلطها على شدّه وقرنها على حده. الهواء من تحتها فتيق<sup>(١٠)</sup> والماء من فوقها دفيق. ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها<sup>(١١)</sup>. وأدام مرتبها. وأعصف مجراها. وأبعد منشأها. فأمرها بتصفيق الماء الزخار<sup>(١٢)</sup> وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله إلى آخره. وساجبه إلى مائره<sup>(١٣)</sup>. حتى عبّ عبابه<sup>(١٤)</sup> ورمى بالزبد ركامه. فرفعه في هواء منفثق. وجو منفهق<sup>(١٥)</sup> فسوّى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوقا<sup>(١٦)</sup> وعليهن سقفا محفوظا. وسما مرفوعا بغير عمد يدعمها. ولا دسار ينظمها<sup>(١٧)</sup>. ثم زينها بزينة الكواكب. وضياء الثواقب<sup>(١٨)</sup> وأجرى فيها سراجا مستطيرا<sup>(١٩)</sup>. وقمرا منيرا في ذلك دائر. وسقف سائر. ورقيم مائر<sup>(٢٠)</sup>. ثم فتق ما بين السموات العلا. فملاهن أطوارا من ملائكته. منهم سجود لايركعون. وركوع لاينتصبون. وصافون<sup>(٢١)</sup> لايترايلون<sup>(٢٢)</sup> ومسبحون لايسأمون.

- (١) حولها من العدم إلى الوجود في أوقاتها.  
(٢) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادي.  
(٣) الأشباح: أي أشخاصها.  
(٤) أحنائها: أي مشتبهاتها.  
(٥) سكانك الهواء: أي الهواء الملاهي عنان السماء.  
(٦) التيار: الموج، والترام: ما يكون بعضه فوق بعض، الزخار: الامتداد - والارتفاع.  
(٧) أمرها برده: أي منعها من الهبوط.  
(٨) سلطها على شدّه: أي وثاقه، وقرنها إلى حده: أي جعلها مكانا له، والفتيق: أي المفتوق.  
(٩) اعتقم مهبها: أي جعل عيوبها عقيما.  
(١٠) ادام مرتبها: أي لازمها، وتصفيقه أي تحريكه.  
(١١) ساجبه: ساكنه، مائره: الذي يذهب ويجيء.  
(١٢) عبّ عبابه: أي مرتفع علاه.  
(١٣) مكفوقا: المكثوف الممنوع من السيلان.  
(١٤) المنفثق: المفتوح الواسع.  
(١٥) الدسار: المسامير أو الحبال تشد بها ألواح السفينة.  
(١٦) مستطيرا: منتشر الضياء وهو الشمس.  
(١٧) الثواقب: النجوم.  
(١٨) الرقيم هنا اسم من أسماء الفلك سمى به لأنه مرقوم بالكواكب.  
(١٩) صافون: قائمون صفوقا.  
(٢٠) لايترايلون: لايتفارقون.

لا يغشاهم نوم العين. ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان. ولا غفلة النسيان. ومنهم أماء على وجبه والسنة على رسله. ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده. والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم. والمارقة من السماء العليا أعناقهم. والخارجة من الأقطار أركانهم. والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم. متلفعون تحته بأجنحتهم. مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة. لا يتوهمون ربهم بالتصوير. ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يجدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظار<sup>(١)</sup>.

• أخرج الطبري (ج ٤ ص ٩) عن زيد بن وهب: أن علياً عليه السلام قام في الناس فقال: الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لا ينقضه الناقضون! لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضلون ذا الفضل فضله، وقد ساقطنا وهؤلاء القوم الأقدار فلفت بيننا في هذا المكان، فنحن بربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النعمة وكان منه التغيير حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره: ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار: ﴿يَجْزِي الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾<sup>(٢)</sup> ألا إنكم لا قوا القوم غدا، فاطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين، ثم انصرف - انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج ٤ ص ١١) عن أبي عمرة الأنصاري وغيره: أن علياً عليه السلام حرض الناس يوم صفين فقال: إن الله عز وجل قد دلکم على تجارة تنجيکم من عذاب أليم، تشفى بکم على الخير، الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والجهاد في سبيل الله تعالى ذكره، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبة في جنات عدن، ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص، وقدموا الدارع<sup>(٣)</sup> وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس - فذكر الخطبة بطولها.

(١) نهج البلاغة: وهو ما جمعه السيد الشريف الرضى من كلام سيدنا علي بن أبي طالب. شرح وتعليق الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً، المطبعة الرحمانية بمصر. الجزء الأول.

(٢) سورة النجم الآية ٣١. (٣) الدارع: من عليه الدرع، والحاسر: من كان بلا درع أو بلا عمامة.

• وأخرج أيضاً (ج؛ ص ٥٧) عن أبي الوداك الهمداني: أن علياً عليه السلام لما نزل بالنخيلة وآيس من الخوارج قام، فحمد الله وأثنى عليه! ثم قال: أما بعد! فإنه من ترك الجهاد في الله وادمن في أمره كان على شفا<sup>(١)</sup> هلكة إلا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله! وقاتلوا من حاد الله وحاول أن يطفئ نور الله الخاطئين الضالين القاسطين<sup>(٢)</sup> المجرمين الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله! لو ولو عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل تيسروا وتهياؤوا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله - انتهى.

• وأخرج أيضاً (ج؛ ص ٦٧) من طريق أبي مخنف عن زيد بن وهب أن علياً عليه السلام قال للناس - وهو أول كلام قال لهم بعد النهي -: أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القريبة إلى الله، ودرك الوسيلة عنده، حيارى<sup>(٣)</sup> في الحق، جفاة<sup>(٤)</sup> عن الكتاب، نكب<sup>(٥)</sup> عن الدين، يعمهون<sup>(٦)</sup> في الطغيان ويعكسون في غمرة الضلال، فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلًا، وكفى بالله نصيرا. قال: فلاهم نفروا ولا تيسروا فتركهم أيما حتى إذا آيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي ينظرهم فمنهم المعتل ومنهم المكره، وأقلهم من نشط فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله! ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا أثاقتكم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ وبالذل والهوان من العز، أو كلما ندبتكم<sup>(٧)</sup> إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكرة، وكان قلوبكم مألوسة<sup>(٨)</sup> فأنتم لا تعقلون، وكان أبصاركم كمة<sup>(٩)</sup> فأنتم لا تبصرون، الله أنتم ما أنتم إلا أسود الشرى<sup>(١٠)</sup> في الدعة<sup>(١١)</sup> وتعالب رواغة حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لى بقة سجين<sup>(١٢)</sup> الليلي، ما أنتم بركب يصال بكم ولا ذي عز يعتصم إليه، لعمر الله! لبئس حشاش الحرب أنتم، أنكم تكادون ولا تكيدون، ويتنقص أطرافكم ولا تتحاشون،

(٣) جمع حيران.

(٦) يتحIRON.

(٢) للظالمين.

(٥) جمع نكباء، أي المنحرفين عن الدين.

(٨) المألوس هو الذي لختلط عقله.

(٩) جمع اكمه وهو الذي اعترته ظلمة تطمس على بصره.

(١١) الراحة.

(١٠) مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.

(١٢) يقال لا أتيك سجين الليلي، أي أبدا.

ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، أن أخوا الحرب اليقظان ذو عقل، وبيات لذل من وادع<sup>(١)</sup> وغلّب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب. ثم قال: أما بعد! فإن لي عليكم حقاً، وإن لكم عليّ حقاً، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فينكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتأديبكم كي تعلموا، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لي في الغيب والمشهد والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم، فإن يرد الله بكم خيراً انتزعوا عما أكره وتراجعوا إلي ما أحب تناولوا ما تطلبون وتدرّكوا ما تأملون - انتهى.

• وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب (ج ١ ص ٣١٥) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحميري علياً عليه السلام يوم صفين، فقال: انصرف عنا يا ابن أبي طالب! فأنا ننشدك الله في دماننا ودمك، ونخلى بينك وبين عراقك، وتخلي بيننا وبين شامنا، وتحقق دماء المسلمين. قال علي عليه السلام: هيهات! يا ابن أم ظليم! والله! لو علمت أن المداينة تسعني في دين الله لفعلت، وكان أهون عليّ في المؤونة، ولكن الله لم يرض من القرآن بالسكوت والادهان، إذا كان الله يعصى وهم يطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله - انتهى وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١ ص ٨٥) مثله.

\* \* \*